

عَبْدُ العَزيز الرفاعِي

أم عمارة

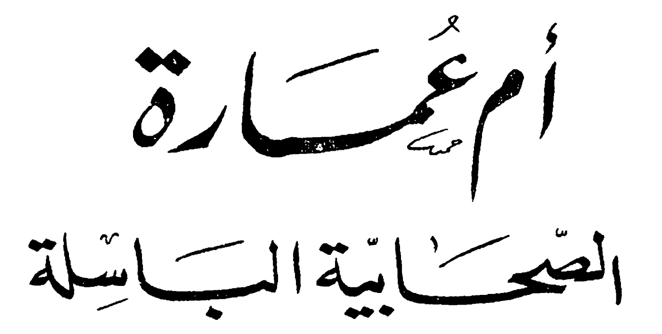
الصّحابية الباسلة

طبعة مزيدة ومنقحة

منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

المكتبة الصّغيرة

٦



طبعة مزيدة منقحه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يرى جهاد أم عمارة وبسالتها يوم أحد :

« ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة !؟ »

وقال صلى الله عليه وسلم ، وهو يشهد جهادها وزوجها وابنها يوم أحد :

« بارك الله عليكم من أهل بيت ، رحمكم الله اهل البيت . .

اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة »

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي جعل الاسلام هو الدين القيم .

والحمد لله الذي أظهره ، وعمم رسالته .

والصلاة والسلام على رسوله الذي ناضل لنشره

واحتمل وصابر حتى انتصر دين الله القويم .

ورضي الله عن العصبة الطاهرة ـ رجالها ونسائها

التي آزرت دينه ورسوله من صحابته الأبرار .

مقدمة

كنت قبل عيد الفطر المبارك من سنة ١٣٩٠ هـ أفكر بإلحاح في وضع رسالة مختصرة لهذه السلسلة عن الصحابي الأديب الشاعر البطل : ((كعب بن مالك)) .. وقد وجدت في شخصيته المثيرة ، بكل صفاته ، وبعظمة الصدق في نفسه ، حتى في أحرج المواقف ، وأحلكها ، ما جعلني أوالي الاهتمام بما فكرت به ، فكان الكتيب الرابع من سلسلة المكتبة الصغيرة ..

بيد أنه لم يكد يمضي شهر ، على انجازي كتيب كعب ابن مالك ، وتطل أيام عطلة عيد الأضحى المبارك من العام نفسه ، حتى وجدتني أفكر بإلحاح أشد ، في شخصية أشد اثارة ، هي شخصية ((أم عمارة نسيبة بنت كعب)) .

ولكن مهلا ، لم كانت أم عمارة أشد اثارة ؟

لقد كان مصدر البطولة هذه المرة امرأة ، والمرأة حينما تتخطى حواجز أنوثتها ، لتدخل بطولة الأبطال من الرجال ، تعتبر بطولتها في ميدانهم أكثر استلفاتا للنظر ، وأشد اثارة للاعجاب !

ولو كانت أم عمارة مجرد امرأة محاربة ، لقلت ان لها نظائر في التاريخ ، يشاركنها هذه الميزة ، فهل تميز عنهن أم عمارة .. ؟

لقد تميزت ..

فأم عمارة لم تكن محاربة محترفة .. والموقعة الأولى

التي يسجل لنا التاريخ اشتراكها فيها .. لم تدخلها محاربة بل إن الاشتراك في الحرب لم يخطر لها على بال !

لقد ذهبت الى المعركة ، مجرد امرأة تحمل انسانيتها وحنوها ممثلين في سقاء تسعف به عطشى المسلمين ، وعصائب على حقويها تضمد بها جرحاهم ! ولا شيء أكثر من ذلك ..

ولكنها ، عندما رأت الهزيمة ، تأخذ بأطراف الجيش الاسلامي ، وينكشف الناس عن رسول الله ، حتى لم يبق حوله إلا أقل القليل من الرجال .. نعم من الرجال .. اندفع ههنا إيمانها العميق لتدافع عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وكان سلاحها ما تلتقط من ميدان المعركة .. السلاح الذي تخلى عنه الرجال !

وهكذا وجدت نسيبة نفسها امرأة محاربة .. وصمد إيمانها ، فأتقنت الدفاع ، بقدر ما تستطيعه امرأة تضعها الظروف هذا الموضع ..

وحينما سجل لنا التاريخ للمرة الثانية أم عمارة تحمل السلاح ، كانت بطولتها هذه المرة نابعة من أنوثتها .. فقد ثكلت ابنها ، وأرادت أمومتها المصحوبة بالإيمان العميق أن تنتقم ممن قتل ابنها .. وكان الله معها .. فانتقمت !

ولم تكن هذه الجوانب فقط هي الجوانب المثيرة في شخصية أم عمارة ، وأن تكن كافية لتجعلها كذلك !

بل كانت هناك جوانب أخرى تزيد من اعجابنا بهذه الشخصية ..

فقد كانت أم عمارة مثلا للمرأة الصالحة ، الواعية الراوية ، التي تفكر في بنات جنسها وتعنى بأمورهن ..

كما فعلت حينما قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أرى كل شيء إلا للرجال .. » تطالب بحق المرأة من الأجر .

كانت شخصية أم عمارة بكل اثارتها ، وحركتها ، وعظمتها ، تهيب بي أن أجعل للمرأة نصيباً في « المكتبة الصغيرة » ، وأن أبدأ بأم عمارة ، كمثل نبيل للجهاد ، ونحن في وقت أحوج مانكون فيه لضرب الأمثلة على الجهاد ، الجهاد الذي يسهم فيه الرجال والنساء .. لنداقع جميعاً عن مقدساتنا ونسترجع الحقوق التي استبيحت .. ولن نفعل ذلك مالم نصدر – رجالاً ونساء – في جهادنا ، عن إيمان عميق ، مثل ذلك الإيمان الذي تجلى في موقعة أحد ، ايمان بأن موقف المسلمين هو الأعلى ، مهما كانت الظروف ، لأن الأيام مداولة .. ويجب أن نملك الصمود والكفاح ، والنضال .. ليكون لنا النصر الأخير .

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ● إن يمسسكم قرح فقد مسَّ القوم قرحٌ مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ● وليمحِّص اللهُ الذين آمنوا ويمْحق الكافرين ● أم حسِبتم أن تدخلوا الجنَّة ولمَّا يعلمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم ويعلم الصَّابرين » .

وهكذا وجدتني أكتب باندفاع ، مسجلاً ما سجلت من هذه الرسالة المتواضعة .. راجياً أن أقدم للقراء صورة للمرأة المسلمة المثالية .. وأن أضع بين يدي الفتاة في بلادي ، وفي كل بلاد عربية واسلامية هذا المثل الرفيع ، داعياً الله

عزّ وجل أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم .

وقد جعلت الرسالة على قسمين :

القسم الأول ـ يحتوي على قصة بطولة أم عمارة ، في مواقفها ، يوم العقبة ، ويوم أحد ، ويوم اليمامة .. وقد حرصت على أن يكون لهذا القسم طابع القصة الواقعية التي تلتزم الأحداث ، ولكنها لا تقف للدرس والبحث والاستنتاج بل تظهر البطولة الزاخرة بالحركة والحيوية والإيمان .

أما القسم الثاني ـ فهو ما يخص الدرس والبحث تناول حياة أم عمارة ، ونسبها ومكانتها ، وسيرتها ..

وأرجو بذلك أن أكون قد وفقت بعض التوفيق بين الرغبتين ، رغبة القارىء الذي يلتمس القصة لا البحث والآخر الذي يهتم بالبحث والقصة معاً ، أو قد يكون البحث هو اهتمامه الأول ..

ولا يفوتني أن أذكر بالشكر جهد أخوة كرام اهتموا بتعضيدي وتشجيعي ، عندما علموا عزمي على وضع هذه الرسالة ، فلهم خالص ثنائي وشكري .

ومن الله أستمد العون والتوفيق

عبد العزيز الرفاعي

الرياض : ذو الحجة ١٣٩٠ هـ
فبراير (شباط) ١٩٧١ م

١

قِصّة بُطولة

الفصل الأول

أغمضت قريش عينها عن ذلك النور الذي أخذ ينبعث في بطاح مكة .. الا عدداً يسيراً منهم اهتدوا به ، واستجابوا لدعوة محمد الأمين صلى الله عليه وسلم الى دين التوحيد ..

ولم تكتف قريش بموقفها السلبي من الدين الجديد بل أخذت تصد عنه ، كل من يفكر أن يلتحق به .. وأخذت تنزل أشد إيذائها ونكايتها بمن تستطيع أن تؤذي من ذلك العدد القليل ، الذي آمن بدعوة الله ، الى جوار بيت الله ، الذي بناه أبو الأنبياء ابراهيم في الوادي المبارك .

وأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن قريشاً أوصدت أحاسيسها تماماً تجاه دعوته ..

اذاً فلم يبق في مكة الآن أمل ..

فليتجه الى الطائف القرية الثانية .. حيث ثقيف .. ولكن موقف سراة ثقيف من دعوة النبي القرشي كان موقفاً قاسياً ، فيه الصد كل الصد ..

ورجع محمد عليه الصلاة والسلام الى قريته الأولى دامي القدمين ، حزين القلب ..! بيد أنه لم يفقد الأمل .. فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً ..

بقيت هذه القرية الحجازية الثالثة ترى أتنصر يثرب دعوة محمد بن عبد الله ؟ لم لا ؟ أليس فيها أخوال جده من بني النجار ؟ ولكن أينصره أخوال جده بينما خذلته عشيرته الأقربون ؟

ولكن لمَ يذهب محمد الى القرى جنوباً أو شمالاً وهذه القرى تأتي إليه في بلده .. ؟ أليست مكة مقصداً لحجاج القبائل من كل قريـة .. ؟ اذاً فليستمر في عرض دعوته على هؤلاء الحجاج لعل فيهم من يستجيب الى الحق فينصره .. وليكن بين هؤلاء القبائل حجاج يثرب ..

وعند العقبة من منى عرض الاسـلام على نفر مـن الخزرج ، فسرعان ما آمنوا ، أليس هذا هو النبي الـذي أظل زمنه ؟ أليس هو الذي توعدنا به يهود يثرب ؟ فلنكن أسبق إليه من يهود .. !

ورجع النفر الى المدينة ، فنشروا الاسلام في بيوتهم فلما كان من العـام القابل ، جاء من الخزرج عشرة نفر ، ومن الأوس نفران ..

وبعد عودتهم ازداد انتشار الاسلام في يثرب ..

فلما كان من العام الثالث .. ازداد وفد أهل يثرب الذين رغبوا في بيعة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فإذا عددهم يصل الى اثنين أو ثلاثة وسبعين رجلا ، وتشترك معهم امرأتان .. وكان عدد الأوس منهم أحد عشر رجلاً ، أما البقية فكانوا من الخزرج ..

وكان عدد الخزرج أظهر في كل بيعات العقبة ..

ولأترك لرجل من الخزرج ، هو كعب بن مالك رضي الله عنه[1] ، أحد الذين شهدوا بيعة العقبة الكبرى أن يقص قصتها :

« .. ثم خرجنا الى الحج ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنا نكتم مَنْ معنا مِن قومنا من المشركين أمْرنا فكلمناه ، وقلنا : يا أبا جابر .. انك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون

---

(١) صدرت عنه الحلقة الرابعة من سلسلة « المكتبة الصغيرة » .

حطباً للنار غداً ·· !

« ثم دعوناه الى الاسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة ·· فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً ··

« فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل ، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلل تسلل القطا ، مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نسائنا ، نسيبة بنت كعب أم عُمارة ، احدى نساء بني مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي احدى نساء بني سلمة وهي أم منيع ··

« فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب (عمه) وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له !

« فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال :

« يا معشر الخزرج ، وكانت العرب انما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج ــ خزرجها وأوسها ــ

إن محمداً منا حيث علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وانه قد أبى إلا الإنحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعـد الخروج إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه في عز ومنعة من قومه وبلده .

« فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ..

« فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ودعا الى الله ، ورغب في الاسلام ، ثم قال :

« أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

« فأخذ البَراء بن معرور بيده ، ثم قال :

« نعم والذي بعثك بالحق ، لنمنعنك مما نمنع منـه ازرنا (أي محارمنا) ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ، وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر ..

« فاعترض القول ــ والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ أبو الهيثم بن التيهان . فقال :

« يا رسول الله .. ان بيننا وبين الرجال (يعني اليهود) حبالاً وإنّا قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟

« فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :
بل الدم الدم والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم !

« ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ـ اخرجوا اليَّ منكم اثني عشر نقيباً ، ليكونوا على قومهم بما فيهم » .

« وكان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ، ثم بايع بعدُ القوم » .

اذاً فقد كانت هناك امرأتان بين ذلك العدد من الأنصار الذين شهدوا بيعة العقبة الكبرى ، تلك البيعة التي كانت حداً فاصلاً بين عهدين من عهود الاسلام ، عهده الأول في مكة ، وهو عهد التأسيس المقرون بالصبر والاحتمال ، وعهده الثاني في المدينة ، وهو عهد البناء المصحوب بالقوة والصلابة .

وكانت أم عمارة نسيبة بنت كعب ، احدى تينك

المرأتين اللتين سعدتا بهذا اللقاء التاريخي ، الـذي شكل وساماً خالداً لأصحابه يفخرون بـه ما عاشوا ، ويبقى في ذكرهم ما بقي التاريخ •• كما شكل يوم بدر ، فخراً باقياً للبدريين ، بل لقد كان من الصحابة العقبيين الذين شهدوا بيعة العقبة ، من كان يوم العقبة لا يعدله عنده يوم حتى ولا يوم بدر !

ترى ماهي مشاعر تينك المرأتين اللتين شهدتا بيعـة العقبة الكبرى •• ؟

ما مشاعرهما ، ازاء ذلك الموقف العظيم ، وقد مضى من الليل ثلثه من ذلك اليوم من أوسـط أيام التشريق ، والناس نيـام ، ولـم يبق يقظان ساهراً إلا القمر ، يلف وديان منى وشعابها في غلالته الفضية الرقيقة •• وهاهم القوم الذين تواعدوا عـلى البيعة يوقظ بعضهم بعضاً في رفق وهمس •• ليخرجوا مـن رحالهم الى موعدهم •• وأي موعد تاريخي عظيم •• ينتظرهم ، ومع من ؟ انه مع محمد بن عبد الله آخر الرسل •• الذي حقق آخر لقـاء للنبوة بـين السماء والأرض ، فأي شرف يحوزه هؤلاء الذين أتيحت لهم فرحة اللقاء بهذه الفرصة الأخيرة من عهد الرسالات ••؟ وفي مثل هذا الشرف العظيم شرف البيعة

على النصرة والمنعة •• ؟

هكذا كان حظ أم عمارة عظيماً ••

لقد مضت مع زوجها غَزِّية بن عمرو لتكون ضمن من أتيح لهم شرف البيعة ••

اذاً لـم يفت المرأة أن تمثل النساء في هـذا اللقاء الفريد ••

قالت أم عُمارة تصف ذلك اللقاء الفذ :

« كانت الرجال تصفق على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة ، والعباس آخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما بقيت أنا وأم منيع ، نادى زوجي غَزِية بن عمرو : يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتا معنا يبايعانك • فقال : قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه ، اني لا أصافح النساء •• »

وهكذا سعدت أم عمارة بهذه البيعة التي لم تسعد بها من النساء إلا هي وزميلتها ••

وهكذا رجعت الى يثرب ، تضم جوانحها على سعادة غامرة لا تعدلها سعادة ، فقد رأت رسول الله ، وبايعها الرسول على ما بايع عليه قومها •• !

الفصل الثاني

أخذ الاسلام ينتشر في يثرب .. يغمر نوره الباهر دورها داراً داراً .. فاذا اسم الله تعالى على كل لسان .. وإذا الايمان به يعمر كل قلب .. من ذلك الوسط الذي استجاب للدعوة ، ووجد حلاوتها ..

وأخذ اسم الرسول العظيم ينتشر في الوسط المؤمن تصحبه هالة عظيمة من الحب والإعجاب ، وأخذ أولئك الذين سعدوا بلقائه يتحدثون عنه .. ويشبعون فضول أولئك الذين لم يسعدوا بعد بهذا اللقاء .. كيف هو ؟ .. وكيف حديثه ؟ وماهي دعوته ؟

وكانت أم عمارة وزميلتها هما وحدهما فقط اللتين في وسعهما أن تتحدثا عنه من بين نسوة يثرب .. وأن تصفا رسول الله ولقاءه التاريخي ، لقد كان لهما هذا الشرف وحدهما .. !

وتتالت الأحداث لنصرة دين الله في يثرب ..

هذا مصعب بن عمير القرشي ، مبعوث رسول الله الى الأنصار يقرىء القرآن الكريم ، ويرشد الى الاسلام ..

بل هذا رسول الله عليه الصلاة والسلام نفسه يهاجر الى يثرب ، ليتخذ منها مركزاً جديداً لدعوته •• وليسميها مدينة رسول الله ، فتضج به فرحاً ، وتعم بهـا البشرى ، ويملأ السرور الغامر كل جانحة مؤمنة ••

وتتالى الأحداث ••

ألم يرد في تلك البيعة التي شهدتها أم عمارة أنها بيعة ملزمة يختلط بها الدم بالدم ••

لقد وصلت الدعوة الى منطقة الدم ••

لا بد من الدم •• اذا لم يكن منه بد ••

وانه الدور التالي بعد دور الدعوة بالحسنى ••

والتقى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ومعه المهاجرون والأنصار ، مع جيش قريش في موقعة بدر ••

ودارت الدائرة على قريش ••

وجرت قريش أذيال هزيمتها الى مـكة ، بعد أن خلفت في بدر ، عـدداً كبيراً من القتلى ، وبعد أن حملت معها عدداً كبيراً آخر من الجرحى •• وبين أولئك وهؤلاء مشاهير من رجالها ، وصناديد من أبطالها ••

بيد أنها أضمرت انتقاماً ••

وكان يوم أحد ..

لقد حشدت قريش حشودها ، ومضت تغذ السير الى المدينة .. وهي تعسكر على مقربة منها ..

وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم ، في المسلمين ، فعسكر قرب أحد ، الجبل خلفه ، والأعداء أمامه ..

ووضع الرسول القائد خمسين رامياً بالسهام ليحمي جيش المسلمين من أن يأتي العدو من الخلف من قبل الجبل ، ونبه على هؤلاء الرماة أن لا يتركوا أماكنهم مهما كان الموقف من نصر أو هزيمة أو غنيمة ..

ودارت رحى الحرب .

وهبت ريح النصر مع المسلمين ..

وانهزم العدو .. وأخذ في الهرب .. ولاحقه جيش الاسلام .. قتلا وضرباً .. وأتيحت الغنيمة للمسلمين ..

ورأى الرماة اخوانهم من جيش المسلمين يهتبلون فرصة الغنيمة المتاحة .. وتاقت نفوسهم الى أن يكون لهم فيها نصيب ..

وتدخل رئيسهم « عبد الله بن جبير » ينصحهم

ويشــدد النصح أن لايتركوا أماكنهم ، ويذكرهم بأوامر الرسول •

ولكن الإغراء كان كبيراً ، لقــد انهزم القوم وهاهم يولون الأدبار ، وهاهي غنائمهم تتاح للمسلمين ••

وترك عدد كبير من الرماة أماكنهم ، طلباً للغنيمة ••

ورأى خالد بن الوليد ، قائد الخيالة في جيش قريش ــ وكان لــم يسلم بعد ــ خلــوّ أمكنة الرماة ، فاهتبل الفرصة •• وقام مع رجاله بحركة التفاف من الخلف ، وقتل من بقي من الرماة •• وفاجأ المسلمين من خلفهم •• فتحول النصر الى هزيمة ، واشتد القتــل في صفوف المســلمين ، وطلب النجاة عدد منهم •• وتفرق الرجال الــذين كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الا القليل القليل •• وصاح صائح الكفار لقد قتل محمد •• فاشتد هلع المسلمين وسُقط في أيــدي بعضهم •• ورأى بعضهم أن لا داعي للحرب بعد النبي •• بينما ظل نفر يقاتلون ثابتين ••

اذاً فقد وصلت المعركة الى أوجها ، واحتدمت الحرب أيما احتدام ، بين قريش ، وبين أولئك النفر القليل الذين ثبتوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

وهنا في هذا الموقف الحرج الذي وصل مداه حرجاً

وكرباً .. نرى أم عمـارة .. نسيبة بنت كعب الخزرجية ــ نراها تتخذ موقفاً بطولياً عجيباً .. !

ولكن ما الذي أتى بأم عمارة هنا .. الى المعركة .. ؟

ان أم عمارة تحمل حساً انسانياً عالياً ، وضميراً يقظاً

لقـد أتت لتكون خلف الصفوف ، ومعها سقاؤها ، لتسقي الظامىء من عسكر المسلمين ، وأتت ومعها عصائبها ولفائفها لتضمد جرحاهم ..

ومرة أخرى أترك أم عمارة نفسها تتحدث :

روت أم سعد بنت سعد بن الربيع قالت :

« دخلت عليها ــ أي على أم عُمارة ــ فقلت :

حدثيني خبرك يوم أحد ؟

« قالت : خرجت أول النهـار الى أحد ، وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت الى رسول الله ، وهو في أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ..

« فلما انهزم المسلمون ، انحزت[1] الى رسول الله ، فجعلت أباشر القتـال ، وأذب[2] عن رسول الله بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت[3] اليَّ الجراح !

قالت أم سعد : فرأيت عـلى عاتقها جرحاً لـه غور

---

(١) ملتُ (٢) أدافع (٣) وصلت .

أجوف ! فقلت :

« ـ يا أمَّ عمارة من أصابك بهذا ؟

فقالت : أقبل ابن قمئة وقـد ولى الناس عن رسول الله ، يصيح : دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا .

فاعترض له مصعب بن عمير ، وناس معه فكنت فيهم ، فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته علـى ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان . » اهـ

وكانت ضربة ابن قمئة ضربة قاسية شديدة ، غارت في عاتقها ، وظل جرحها يدمي ، تعالجه طوال عام كامل ..

ولكنه لـم يكن جرحها الوحيد .. فقـد تجاوزت جراحها العشرة عداً ..

لقـد اشتدت حميتها .. وغلت عروقهـا ، وثارت ثائرتها .. فشمرت عن ثيابها وشدتها الى وسطها ، وأخذت تقاتل قتال الأبطال بكل ما يصل الى يدها من سلاح الميدان .. فقاتلت بالسيف ، ورمت بالقوس ، وتترست بالترس ، واختلفت عليها ضربات السيوف ، والرماح ، ولكنها لـم تعبـأ بكل ذلـك ، فقـد ظلت صامدة ثابتـة كالجبال الراسية .. !

هاهو عمارة بن غزية يروي عنها :

« قـد رأيتني ، وانكشف الناس عن رسول الله فما بقي إلا في نفير مايتمون عشرة ! وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذب عنه ، والناس يمرون به ! ، ورآني لا تُرس[1] معي ، فرأى رجلاً مولياً ! معه تُرس •• فقال لصاحب الترس :

« ألق تُرسَك الى من يقاتل •• »

« فألقى ترسه •• ! فأخذته ! فجعلت أتترس به عن رسول الله ، وانما فعـل بنا الأفاعيل أصحاب الخيـل !! لو كانوا رجالة[2] مثلنا أصبناهم ان شاء الله •• فيقبل رجل على فرس ، فيضربني ، وتترست له ، فلم يصنع سيفه شيئاً ، وولى •• وأضرب عرقوب[3] فرسه فوقع على ظهره ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصيح ـ يا ابنَ أمِّ عمارة •• أمَّك •• أمَّك ! فعاونني عليه حتى أوردته شعوب[4] » .

وقد حازت بطولة هـذه المرأة الشجاعة التي تحارب بكل سلاح ، وتقدم روحها فداءً للرسول الكريم ، وتعمل

(١) الترس : بضم التاء وسكون الراء ، صفحة من الحديد الصلب تستعمل للوقاية من الرمح ونحوه .
(٢) رَجّالة : بفتح الراء : مشاة .
(٣) العرقوب : هو العصب الغليظ الذي يكون فوق عقب القدم .
(٤) كناية عن المنية : بفتح الشين .

في الميدان الانساني ، فتسقي العطشى ، وتضمد الجراح ..
حازت بطولتها اعجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

روى ابنها عبد الله بن زيد ، فقد كان معها في هذه المعركة العنيفة هو وأخوه حبيب بن زيد .. قال :

« جرحت ، يومئذ جرحاً في عضدي[1] اليسرى ، ضربني رجل كأنه الرَّقْل[2] ، ولم يعرج[3] علي ، ومضى عني ، وجعل الدم لا يرقأ[4] . فقال رسول الله :

ـ اعصب جرحك .

فتقبل أمي اليَّ ، ومعها عصائب[5] في حقويها[6] قد أعدتها للجراح ، فربطت جرحى ، والنبي واقف ينظر الي . ثم قالت :

ـ انهض بُنيّ فضارب القوم !

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

---

(١) العَضُد : بضم العين والضاد : الغليظ من الذراع من المرفق الى الكتف .
(٢) الرَّقل : بفتح الراء المشددة ، وسكون القاف : النخلة الطويلة .
(٣) لم يُعَرِّج : لم يقف .
(٤) يرْقأُ : يجف .
(٥) عصائب : جمع عصابة : ما يعصب به الجرح .
(٦) الحَقْو : الخصر .

ـ ومن يطيق ما تطيقين يا أمَّ عمارة ! »

وتقول أم عمارة : « وأقبل الرجل الذي ضرب ابني ، فقال رسول الله : ـ هذا ضارب ابنك •

« فأعترضُ لـه ، وأضربُ ساقه ، فبرك ! فرأيت رسول الله يبتسم ، حتى رأيت نواجذه[1] وقال :

ـ استقدت[2] يا أم عمارة

« ثم أقبلنا نعله[3] بالسلاح ، حتى أتينا على نفسه • فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

ـ الحمد لله الـذي أظفرك وأقر عينك من عـدوك وأراك ثأرك بعينك •! » •

وروى ابنها عبد الله أيضاً قال :

« شهدت أحداً مع رسول الله ، فلما تفرق الناس عنه ، دنوت منه أنا وأمي نذب عنه ، فقال :

ـ ابنَ أم عمارة ؟

قالت : نعم

قال : ارم ••

---

(١) النواجذ : جمع ناجذ ، وهي الأضراس .

(٢) من القَوَد وهو القصاص : أي اقتصصت منه .

(٣) نعله : بضم العين أو كسرها : نضربه مرة بعد مرة .

« فرميت بين يديه رجلاً من المشركين بحجر ، وهو على فرس ، فأصبت عين الفرس ، حتى وقع هو وصاحبه ، وجعلت أعلوه بالحجارة ، حتى نَضَدْتُ[1] عليه منهـا وِقْراً[2] ، والنبي صلى الله عليه وسلم ، ينظر ويبتسم ، ونظر جرح أمي على عاتقها ، فقال :

ـ أمَّك .. أمَّك .. أعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهل البيت ، ومقام ربيبك ـ يعني زوج أمه ـ خير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهل البيت . »

قالت : ـ أدع الله أن نرافقك في الجنة .

فقال : اللَّهم اجعلهم رفقائي في الجنة !

فقالت : ما أبالي ما أصابني من الدنيا .. ! »

وانتهت معركة أحـد ..

ورأت قريش أن قد شفت من المؤمنين غليلاً .. وان كانت قد دفعت ثمن ذلك غالياً ، دماً وأموالاً ، ولكن هل

---

(١) نضَدت : بفتح الضاد : أي جعلت الحجارة عليه متراكمة ، بعضها فوق بعض .

(٢) وقراً : بكسر الواو وسكون القاف : أي حملاً ثقيلا .

انتهى الموقف البطولي الذي وقفته هذه الصحابية العظيمة ؟ كلا فقد كانت لبطولتها في هذا اليوم ، تتمة رائعة ، حينما عـزم الرسول صلى الله عليه وسلم عـلى اللحاق بقريش ليصدهم ، فيما لو حاولوا مداهمة المدينة .. وقد خرج عليه الصلاة والسلام ، بعد أن أذّن مؤذنه ، أن لا يخرج معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس .. ثم خرج ، وكثير ممن معه من الصحابة مصاب بجراح أحد ، وبعضهم تعددت اصاباته ، حتى انتهى عليـه الصلاة والسلام الى موضـع يسمى « حمراء الأسد » ، وهو على بعـد ثمانية أميـال من المدينة لمن قصد مكة ، فمكث به ثلاثة أيام يرقب عودة قريش ، ولكنها كانت قد والت المسير الى مكة ، فعـاد صلى الله عليه وسلم مع جيشه الى المدينة ..

ترى ماهو موقف أم عـمارة من غزوة حمراء الأسد ، ألم يشملها النداء ؟ أليست ممن حضر أحداً ؟ بل أليست ممن اشترك في القتال يومه ، وهذه أوسمة الشرف تشيع في جسمها ، وأعظم أوسمتها هذا الذي على عاتقها ؟

اذاً فعلى هـذا الضمير الحي اليقظ الذي تضمه أم عمارة ، أن يدفعها الى الخروج مـع رسول الله صلى الله

عليه وسلم الى حمراء الأسد كرة أخرى ..

هاهي تشـــد عليها ثيابها ، وهاهي تتمالك نفسها ، وتحاول أن تضمد من جراحها ، ولكن ما الحيلة في بعض هذه الجراح ، الذي أبى إلا أن ينزف ..

لقـــد أمضى أهلها ليلتهم يكمدون هـــذه الجراح ، ولكنها ظلت تنزف .. ومع ذلك فقـــد تحاملت أم عمارة على نفسها .. بيـــد أنها لم تستطع .. كانت آلامها فوق الطاقة .. !

ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة .. !

في أذنيها صوت الرسول العظيم .. انها تقاوم آلامها ولكنها لا تستطيع .. وهذا الجرح الغائر على عاتقها .. جرح ابن قمئة .. أليس أبعدها غوراً .. ؟

لتبق إذاً أم عمارة في دارها .. وكفاها فخراً هـــذه الشهادة العظيمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما التفت يوم أحد يميناً ولا شمالاً ، إلا وأراها تقاتـــل دوني » !! .

ولم يكد رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجع مـــن

يوم « حمراء الأسد » حتى أرسل إليها شقيقها عبـــد الله ابن كعب المــازني ، ليطمئنه عــلى حالها ، اهتماماً منـــه صلى الله عليه وسلم بأمرها ، وقد فعل عبــد الله ، ورجع الى النبي يخبره بسلامتها ، فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وســلم !!

الفصل الثالث

أفرد الواقدي في كتابه (المغازي) فصلا طويلا عن (غزوة خيبر) تحدث فيه عن هذه الغزوة حديثاً مسهباً .. استوقفني فيه عدة أخبار وقصص .. ولكن مما استلفت نظري بصفة خاصة ، أخباره عن أم عمارة ، فقد أورد عنها بعض الأخبار ..

خرجت أم عمارة إلى خيبر مع عدد من النسوة الصحابيات ، فقد ذكر الواقدي نفسه في ذلك الفصل ص ٦٨٥ ، أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون امرأة ، أم سلمة زوجته ، وصفية بنت عبد المطلب ، وأم أيمن ، وسلمى إمرأة أبي رافع مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وامرأة عاصم بن عدي ولدت سهلة بنت عاصم بخيبر ، وأم عمارة نُسيبة بنت كعب ، وأم قنيع ، وهي أم شُباث ، وكعيبة بنت سعد الأسلمية ، وأم مُتاع الأسلمية ، وأم سُليم بنت ملحان ، وأم الضحاك بنت مسعود الحارثية ، وهند بنت عمرو بن حزام ، وأم العلاء الأنصارية ، وأم عامر الأشهلية ، وأم عطية الأنصارية ، وأم سنليط

وهكذا نرى بين هؤلاء النسوة صحابيات مشهورات منهن أم عمارة

وقد حدثت أم عمارة عن غزوة خيبر بأكثر من حديث ، في فصل غزوة خيبر من

كتاب المغازي ..

قال الواقدي : « حدثني ابن أبي سبرة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أم عمارة قالت : « ذبحنا بخيبر ، لبني مازن بن النجار فرسين ، فكنا نأكل منهما قبل أن يفتح حصن الصعب بن معاذ » اهـ .

ويدل هذا الحديث ، على أن التموين الغذائي ، كان يشكل أزمة بالنسبة لجيش المسلمين الذي كان يحاصر حصون خيبر . ولكن هذه الأزمة انفرجت بعد استيلاء المسلمين على حصن الصعب بن معاذ ، وهو الحصن الذي كان يختزن فيه اليهود طعامهم .. وتحدثنا أم عمارة ذاتها ص ٦٦٥ عن هذا الطعام المخزون وكثرته :

« حدثني ابن أبي سبرة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أم عمارة قالت : لقد وجدنا في حصن الصعب

ابن معاذ من الطعام ما كنت أظن أنه لا يكون في خيبر ، جعل المسلمون يأكلون مقامهم شهراً وأكثر من ذلك الحصن فيعلفون دوابهم ، ما يُمنع أحدهم ، ولم يكن فيه خمس ، وأُخرج من البذور شيء كثير يباع في المقسم ، ووجد فيه خرز منْ خرز اليهود ، فقيل لها : فمن الذي يشتري ذلك في المقسم ؟ قالت المسلمون واليهود الذين كانوا في الكتيبة فآمنوا ومن حضر من الأعراب ، فكل هؤلاء يشتري . فأما من يشتري من المسلمين فإنما يحاسب به مما يصيبه من المغنم » اهـ .

إذن فقد وجد في حصن الصعب ، خرز أيضاً مما تتخذه يهود في الحلي .. وهذا أمر تهتم به النساء .. فهل كان لأم عمارة نصيب من هذا الخرز ؟

يقول الواقدي ص ٦٨٨ : حدثني يعقوب ابن محمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن

ابي صعصعة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب قال : « رأيت في رقبة أم عمارة خرزاً حمراً فسألتها عن الخرز ، فقالت : أصاب المسلمون خرزاً في حصن المصعب بن معاذ ، دفن في الأرض ، فأتي به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر به بمن معه من النساء ، فأحصين ، فكنا عشرين امرأة ، فقسم تلك الخرز بيننا ، هذا وأرضخ لنا من الفيء ، قطيفة وبردا يمانيا ودينارين ، وكذلك أعطى صواحبي ، قلت :

فكم كانت سهمان الرجال ؟ قالت : ابتاع زوجي غزية بن عمرو متاعا باحد عشر ديناراً .. » اهـ

إذن فقد حصلت أم عمارة على خرزات حمر ، اتخذت منها عقدا في رقبتها ويبدو أنها لم تزد على ثلاث خرزات لكن واحدة من النسوة العشرين فقد روى الواقدي نفسه (ص ٦٨٦) حديث ام العلاء الأنصارية : « حدثني ابن أبي سبرة . عن اسحق بن عبد الله ، عن عمر بن الحكم . عن أم العلاء الأنصارية قالت : فأصابني ثلاث خرزات ، وكذلك أصاب صواحبي ، وأتي يومئذ برعاث من ذهب . فقال : هذا لبنات أخي سعد بن زرارة ، فقدم بها عليهن رأيت تلك الرعاث عليهن . وذلك من خمسة يوم خيبر » اهـ .

أقول الرعاث : الأقراط : الخرص .

لكن .. لِمَ خرج النساء إلى خيبر ..؟

هذه واحدة منهن تتحدث عن سبب خروجها ، مما رواه الواقدي نفسه

ص ٦٨٦ : « حدثني عبد الله بن أبي يحيى ، عن ثبيتة بنت حنظلة الأسلمية عن أمها أم سنان قالت : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج جئته فقلت : يارسول الله أخرج معك في وجهك هذا ، أخرز السقاء ، وأداوي المرضى والجريح إن كانت جراح - ولا يكون - وانظر الرحل .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اخرجي على بركة الله فإن لك صواحب قد كلمتني وأذنت لهن من قومك ومن غيرهم ، فإن شئت فمع قومك وإن شئت فمعنا . قالت : معك ، قال : فكوني مع أم سلمة زوجتي ، قالت : فكنت معها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغدو من الرجيع كل يوم عليه الدرع ، فإذا أمسى رجع إلينا ، فمكث على ذلك سبعة أيام حتى فتح الله (النطاة) ، فلما فتحها تحول إلى

الشق ، وحولنا إلى (المنزلة) . فلما فتح خيبر رضخ لنا من الفيء . فأعطاني خرزا وأوضاحا من فضة أصيبت في المغنم وأعطاني قطيفة فدكية ، وبردا يمانيا ، وخمائل ، وقدرا من صفر . وكان رجال من أصحابه قد جرحوا فكنت أداويهم بدواء كان عند أهلي فيبرأون ، فرجعت مع أم سلمة ، فقالت لي حين أردنا ندخل (المدينة) ، وكنت على بعير من إبل النبي صلى الله عليه وسلم منحه لي ، فقالت : بعيرك الذي تحتك لك ركبته أعطاكيه رسول الله . قالت : فحمدت الله وقدمت بالبعير فبعته بسبعة دنانير . قالت : فجعل الله في وجهي ذلك خيرا » اهـ .

ونرى من حديث أم سنان هذا أنها كانت إحدى ممرضات الجيش . وأن هناك نسوة أخريات تحدثن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تحدثت به . واستأذن بمثل ما استأذنت ولا شك أن أم عمارة ، وقد

عرفت بعنايتها بالجرحى . قد خرجت لمثل هذا الغرض . وقد صحبت زوجها غزية كما مر من حديثها

وقد روى الواقدي أيضا ص ٦٨٥ حديث امية الغفارية التي خرجت مع نسوة أخريات بقصد التمريض :

« حدثني ابن أبي سبرة ، عن سليمان بن سحيم ، عن أم علي بنت الحكم ، عن أمية بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية ، قالت : جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في نسوة من بني غفار ، فقلنا إنا نريد يارسول الله أن نخرج معك في وجهك هذا فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بركة الله ... إلخ » .

أما الحارث بن عبد الله بن كعب الذي يروي عن أم عمارة ، فهو ابن أخيها عبد الله .

الفصل الرابع

وتوالت الأيام ، وتتالت الأحداث •• ولم تترك أم عمارة الجهاد ، وشهود المواقف لقد أصبح الجهاد في دمها •

اشتركت في الحديبية ، وخيبر ، وعمرة القضـــية ، وحنين •• وبيعة الرضوان ، وكان لها في حرب اليمامة على عهد أبي بكر رضي الله عنه موقف مشهود ••

بيد أن هناك في يوم اليمامة دوافع جديدة ، تضافرت مع دوافع البطولة العتيدة عند المرأة الباسلة ••

لقد خرجت أم عمارة الى يــوم اليمامة يحفزها حافز الانتقام لابنها الذي ثكلته هناك ••

انه حبيبها « حبيب بن زيد بن عاصم » أحـــد ابنيها من زيد بن عاصم ، وهما اللذان اشتركا معها يوم أحد ••

لقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب بن زيد الى مسيلمة الكذاب باليمامة •• مجرد رسول يؤدي رسالة ويعود برسالة •• ولكن مسيلمة غدر بهذا الرسول ، فقيَّده ، ثم أخذ يعذبه عذاباً تخور له عزائم الصناديد •• ولكن البطولة والجلد كانا يسريان في دماء حبيب ••

لقد أخذ مسيلمة يقطع حبيب بن زيد اربا اربا ، كلما قطع منه جزءاً سأله : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟.. قال : نعم .. قال : أتشهد انني رسول الله .. قال : كلا .. فيأخذ في تقطيعه من جديد .. حتى استشهد شهادة قلما يكون لها مثيل .. !!

ويبلغ الخبر المفجع مسامع المرأة الباسلة ، فتحتسب ابنها لله ، ويبرز جانب جديد من جوانب المرأة العظيمة ، هو جانب الصبر والاحتساب ، مع تصميم وإصرار على الانتقام ، لقد آلت أن لا تغتسل حتى تنتقم لابنها الشهيد ..

وتسرع الأيام لتتيح لها فرصة الانتقام ، ألم تواتها الفرصة بالأمس يوم أحد ، حينما ضرب رجل من جيش الأعداء ابنها عبد الله فجرحه .. وسرعان ما وقع الرجل بين يديها فأخذت تضربه حتى أوردته شَعوب (المنية) وعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرعان ما انتقمت .. وابتسم رضا بهذا الانتقام السريع ..

فلتنتقم أم عمارة اذاً لابنها الذي ثكلته ثكلا فريداً ، وهكذا آلت على نفسها أن تقتل مسيلمة أو تستشهد !

ويجهز أبو بكر خليفة رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، جيشاً الى اليمامة ، لحرب مسيلمة الكذاب ، الذي ادعى النبوة •• ويولي على الجيش خالد بن الوليد ••

ولم تكد تسمع أم عمارة بالخبر السار ، حتى تبادر الى أبي بكر تستأذنه في الخروج الى اليمـامة لتشترك في حرب مسيلمة •• ألم تأل أن تحاربه وأن تنتقم لحبيب ••؟

ويدرك أبو بكر رضي الله عنه ، عظم مصابها في ابنها ، ويقدر أحاسيس الأم الثكلى •• ويعرف لأم عمارة جهادها ، وموقفها من السابقين من مسلمي الأنصار وموقفها العظيم يوم أحد ، فيسمح لها بالخروج ، ويوصي بها خالد بن الوليد رضي الله عنه خيراً •

وتخرج أم عمارة ، رضي الله عنها ، مع جيش خالد •• محتملة هذا السفر الطويل من المدينة الى اليمامة •

ويخرج معها ابنها عبد الله بن زيد شقيق حبيب ••

وتحتدم المعركة بـين جيش المسلمين وبـين جيش مسيلمة •• ويزداد ضغط المسلمين ، فيلتجأ مسيلمة وجيشه الى بستان مسوّر يعتصمون به ويحكمون رتاج بابه ••

ويحاصر المسلمون البستان •• ثم يقفز منهم بطل الى

داخله .. فيحترب مع رجال مسيلمة تنوشه السيوف وهو يحاول فتح الباب ، حتى حقق هدفه ! فيندفع سيل المسلمين من الباب ، ويقتحم منهم من يقفز فوق الأسوار .

ـ أين مسيلمة ؟

كان هناك عدة أشخاص يسألون عن مكان مسيلمة وهم في شوق الى اهراق[1] دمه .

كان هنـاك « وحشي » قاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فهو اليوم في صفوف المسلمين ويريد أن يقتـل شر الناس ، كما قتل بالأمس خـير الناس .. (حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه) .

وكان هناك عبـد الله بن زيد .. شقيق حبيب .. وكانت هناك أم عمارة .. أمه ..

أم عمـارة ؟

وأين هي أم عمارة .. ؟

لقد كانت هنـاك تقاتل قتال المستميت .. ، وكانت تكثر عليها الجراح .. ولكنها لـم تعبأ .. لقد اعتادت مناظر هذه الأوسمة على صدرها وعلى عاتقها .. !

---

(١) اهرق : صب .

ولكن أين مسيلمة ؟

وصل « وحشي » الى مسيلمة ، فضربه بحربته ..

ووصل عبد الله بن زيد إليه ، فضربه بسيفه ، ومضت تنوشه سيوف من هنا وهناك ، فقضت عليه .

وهكذا حقق « وحشي » هدفه ، فقتل شر الناس ..

وهكذا حقق عبد الله بن زيد رضي الله عنه هدفه ، فانتقم لشقيقه حبيب رضي الله عنه ..

وأحست أم عمارة أن شيئاً كان يغلي في دمائها قد هدأ ، وان حملا ثقيلاً كان يؤودها[1] قد انحط .

أدركت أم عمارة ، ان جراحها كانت تدمى .. بل لقد فقدت أم عمارة احدى يديها .. فقد ذهبت في المعركة !!

ويبلغ الخبر المزعج أسماع خالد قائد الحملة ، فيهتم له أيما اهتمام ، ويرسل يلتمس في دور العرب في اليمامة من يحسم جرحها بالزيت المغلي ، كما تفعل العرب في مثل هذه الحال ، حتى يعثر الرسل على طبيب يداوي الجراح ، فيغمر يدها بالزيت المغلي ، وكان ألم هذا الكي أشد وقعاً .

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) يؤودها : يثقلها ، يعظم عليها .

ـ ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة !!

ويظل في مسمعها صوت الرسول العظيم يواسيها ••
« ومن يطيق •• ؟

وتؤوب أم عمارة الى المدينة ، فيحتفي بها أبو بكر رضي الله عنه ، ويتفقد أحوالها ويواسيها ، ويعودها ••

وتكبر مكانة أم عمارة في القلوب ••
أية امرأة صالحة هذه •• ؟!

وتعيش أم عمارة ، ماشاء الله تعالى لها أن تعيش •• حتى اذا جاءت الساعة الحاسمة بين الحياة والموت •• كان الطريق أمامها ممهداً تحف به البشريات :

ـ يا رسول الله ادع الله أن نرافقك في الجنة ••
هذا ما قالته يوم أحد ••

ـ اللّهم اجعلهم رفقائي في الجنة •• !

وهذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ••
اذاً •• الى خير ما يطمع إليه قلب مؤمن •• الى رفقة الرسول العظيم •• في الجنة !

٢

أسرتها وسيرتها

وبعـــد :

فهذه هي قصة أم عمارة ، بل هذه فصول من قصة بطولتها ، بقدر ما سمح لنا التاريخ من أخبارها ..

وقد آن لنا أن نعرف :ـ

من هي أم عمارة الأنصارية ؟

من أية قبيلتي الأنصار هي ؟

ومن أية دار من هذه القبيلة ؟

ومـــن هـــم أفراد أسرتهـــا ؟

ان هناك أسئلة كثـــيرة كهذه تتوارد ، فلأحاول أن أجيب عليها بقدر ما يتسع لذلك سبيل .. ومن الله تعالى أستمد التوفيق .

مَنْ هِيَ أم عُمَارة ؟

نَسَبها

هي نَسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول ابن عمرو بن غنم من بني مازن بن النجار .

والنجار هــو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ابن حارثة بن عمرو مزيقياء .

فهي اذن مازنية ، نجارية ، خزرجية ، أنصارية .

كنيتها أم عـُمارة ، وقد اشتهرت باسمها وكنيتها معاً ، ولذلك تترجم لها بعض كتب تراجم الصحابة في موضعين كما فعل كل من ابن حجر في « الإصابة في تمييز الصحابة » وابن الأثـير في « أسد الغـابة » حينما ترجما لهـا في الأسماء تحت اسـم نسيبة ، وفي الكنى أيضا تحت كنيتها « أم عـُمارة » ..

وعـُمَـارة ، بضم العين وتخفيف الميم ، كما في « شرح المواهب اللدنية » .

و « نَسيبة » بفتح النـون ، كمـا ضبطها صاحب « الإصابة » « وأسدالغابة » وصاحب « القاموس المحيط » في مادة « نسب » ، وقال الزبيدي في « تاج العروس شرح

القاموس » أن نَسيبة بفتح النون فيها وفي « نسيبة بنت سماك بن النعمان فقط » ..

وبه ضبطها صاحب « المواهب اللدنية » ولكنه أورد أيضاً قولاً آخر بالتصغير « نُسَيبة » وهـذه عبارته : « نَسيبة ، بفتح النون ، وكسر السين المهملة ، فموحدة مفتوحة ، فهاء ، كما ضبطها في الاكمال والتبصير ، والاصابة والنور ، وغيرهم ، وقول الشامي بالتصغير على المشهور ، وعن ابن معين ، والفربري ككريمة وهم ، انما هذا في نسيبة أم عطيـة كما في فتح الباري في الجنائز ، فنقله في أم عمارة غلط[1] » اهـ .

(بنو النجار)

وهي من بني النجار

وبنو النجار هم أخوال عبد المطلب بن هاشم ، جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان أم عبـد المطلب وأم شقيقته رقية ، كما يحدثنا ابن هشام في « السيرةالنبوية » ، هي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر ابن غنم بن عدي بن النجار .

وأم سلمى هي عميرة بنت صخر بن الحارث بن ثعلبة

(١) المواهب اللدنية : باب غزوة أحـد .

ابن مازن بن النجار ..

وكما هو معروف في كتب السيرة فان عبد الله ، والد الرسول الكريم ، قد توفي بيثرب عند أخوال أبيه ..

وهكذا ندرك صلة الرحم بين أسرة محمد عليه الصلاة والسلام ، وبين بني النجار .

ولقد كان لبني النجار مواقف كريمة في نصرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونصرة دعوته ، فقد كان منهم شخصان من ستة نفر الذين كانوا الدفعة الأولى من الأنصار الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة ، وهما : أسعد بن زرارة من بني مالك بن النجار ، وعوف ابن الحارث من بني مالك بن النجار أيضاً ، وهو ابن عفراء فهما ثلث هذه الدفعة .

وفي الموسم القابل كان عدد الأنصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشر رجلاً ، كان من بني النجار منهم ثلاثة رجال ، أي الربع ، وهم أسعد ، وعوف اللذان سبق ذكرهما ، وانضم إليهما شقيق عوف وهو معاذ ، وهو ابن عفراء أيضاً .

وفي الموسم الثالث كان عدد الأنصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بيعة العقبة الكبرى ثلاثة

وسبعين رجلاً ومعهم امرأتان ، وهما نَسيبة بنت كعب أم عُمارة ، المترجم لها ، وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدي ابن نابي من بني سلِمة ، وكان بينهم من بني النجار أحد عشر رجلا وامرأة ، أي بما يقرب من نسبة السدس ، وكان منهم أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عُدَي بن عبيد بن ثعلبة ابن غَنْم بن مالك بن النجار . وهو فيما يذهب اليه بنو النجار ، انه أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما بنو عبد الأشهل فيقولون انه أبو الهيثم بن التيهان ، وهو حليفهم ، وهو في شعر كعب بن مالك أحد النقباء الاثني عشر الذين انتخبهم الأنصار يوم العقبة الكبرى للاتفاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على البيعة ، وقد ذهب كعب بن مالك ، وهو من بني سلمة ، في روايته التي أوردها ابن هشام في السيرة الى أن البراء ابن معرور السلمي كان أول من بايع .

وكفى بني النجار فخراً ما جاء في صحيح البخاري في باب « فضل دور الأنصار » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفي كل دور الأنصار خير » .

وقد نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قدم المدينـــة مهاجراً ، في بني النجار خاصة . قال ابن حجر في « فتـــح الباري بشرح صحيح البخاري » في الجزء الثامن ط ١٩٥٩م ص ١١٦ في شرح « باب فضل دور الأنصار » :

« وبنو النجار هم أخوال جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن والدة عبد المطلب منهم ، وعليهم نزل لما قـــدم المدينة ، فلهم مزية على غيرهم » .

الخــزرج

وبنو النجار بيت من الخزرج ، واسم الخزرج أظهر في بيعات العقبة ، فقد كان النفر الستة الذين أسلموا عند العقبة أول الأمر كلهم مـــن الخزرج .. وكان عددهم في الموسم التالي في بيعة العقبة عشرة رجال من اثنى عشر .

أما في البيعة الكبرى ، فقد شهدها منهم أربعة وستون شخصاً ، وشهدها من الأوس أحد عشر .

الأنصــار

على أنه يكفي « أم عمارة » فخراً أن تكون أنصارية ، من الذين وصفهم الله عزّ وجلّ ، بقوله تعـــالى في سورة « الحشر » الآية التاسعة :

« والذين تبوءوا[1] الدار والإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجةً[2] مما أوتوا ، ويؤثرون[3] على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصَةٌ[4] ومن يُوقَ[5] شُحَّ[6] نفسه فأولئك هم المفلحون » .

وفي صحيح البخاري ، ان الله عز وجل هو الذي سماهم الأنصار ، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم :

« لو سَلَكَتِ الأنصار وادياً أو شِعْباً لسلكتُ وادي الأنصار وشِعْبهم » وقوله :

« لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار » .

وفيه : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله » .

وفيه قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار :

« أنتم أحب الناس إليَّ »

هؤلاء هم معشر أم عُمارة ، ومنزل قومها من هذا المعشر ، ومنزلة بيتها من قومها .. فهي في كل على صدارة .

---

(١) بوّأ له مكاناً أي سوى له مكانا ، أي تمكنوا من ديارهم وايمانهم .
(٢) أي لا يحسدون المهاجرين على ما أوتوا .
(٣) الايثار : تقديم الغير على النفس .
(٤) الخصاصة : الفقر .
(٥) يُوقَ : من الوقاية ، أي يتوقى .
(٦) الشح : البخل .

مَولدها

ولـدت أم عُمارة في يثرب ، أكبر الظن ، في بلدها وبين قومها .. وان كانت المصادر القديمة لم تحدد مكان مولدها ، كما لم تحدد زمانه .

بيد أنه يمكن تقريب زمن مولدها بالتخمين لا بالتحديد .. فقد كان لأم عمارة ولدان بالغان في معركة أُحد ، هما عبد الله بن زيد ، وحبيب بن زيـد رضي الله عنهما ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عن المعركة من لم يصل سن البلوغ من صبيان المسلمين ، كما يبدو أن ابنيها لـم يكونا على أشدهما تماماً ، فان وصف قتال عبد الله بن زيد وهو في أغلب الظن ، أكبر الابنين ، يـدل على أنـه كان يستعمل الحجارة في قتاله ، فهو اذن لا سلاح له ، ولـو كان من كبار المقاتلة لجاء بسلاحه ، فاذا افترضنا انه كان دون العشرين ، وان أمَّـه أنجبته ، وهي حوالي العشرين أو دونها ، لكانت حين وقوع معركة أحـد دون الأربعين من العمر أو حولها ، ومعركة أحـد انما كانت في السنة الثالثة ، ومن هذا يسعنا أن نستنتج أن مـولد أم عمارة كان على أي حال قبل سنة ٣٥ قبل الهجرة ..

أسرتها

لم يحدثنا التاريخ عن والدها ، سوى أنه كعب بن عمرو ، الخ ما ورد في نسبها ..

أما والدتها فهي الرباب بنت عبد الله بن حبيب بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن غضب ابن جشم بن الخزرج ، ولم أجد لها اسماً بين أسماء الصحابيات في مادة (الرباب) في كل من « الاصابة » و « أسد الغابة » ، وان كان الاستاذ « خيرالدين الزركلي » قد ذكر في كتابه « الاعلام » في مادة (نسيبة بنت كعب) ان نسيبة رؤيت يوم أحد تقاتل أشد القتال ، وأمها معها تعصب جراحها ، وبذلك تكون أمها صحابية .

وهي أخت شقيقة لكل من « عبد الله بن كعب » شهد بدراً ، وأبي ليلى « عبد الرحمن بن كعب » أحد البكائين[1] وهما صحابيّان .

---

(١) البكائون : نفر من الأنصار لم يجدوا رواحل للاشتراك في غزوة تبوك فانصرفوا يبكون حزناً .

وقد كان شقيقها عبدالله بن كعب ، على ثقل غنائم بدر ، أي أنه كان عدا كونه بدرياً ، مؤتمناً على الغنائم .

وقد ورد في القسم الأول من هذه الرسالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عودته من غزوة «حمراء الأسد» أرسل عبـــد الله (أخاها) يسأل عنها فرجع إليـــه يخبره بسلامتها ، فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم .

أما شقيقها الآخر أبو ليلى عبـــد الرحمن بن كعب رضي الله عنه ، فهو كما مرّ صحابي أيضاً ، ترجم له صاحب الاصابة ، وقال انه مات في آخر زمن عمر ، وانه شهد احداً والخندق وما بعدها ، وانه أحد البكائين الذين نزل فيهم قوله تعالى (تولّوا وأعينهم تفيض من الدّمع حزناً) الآية ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم استعمله على قطع نخل بني النضير ، وكانت وفاته سنة ٢٣ هـ .

حياتها الزوجيّة

تزوجت أم عُمارة في الجاهلية من ابن عمها القريب زيد بن عاصم بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار ، الخزرجي النجاري الأنصاري .

قال صاحب « الاصابة » انه شهد العقبة وبدراً ، ويقال ان كنيته أبو الحسن، وفي « أسد الغابة » أبو حسن، وقد انجبت أم عمارة من زيد بن عاصم ، ابنين هما عبد الله ابن زيد وشقيقه حبيب ، وقد ورد فيما أسلفت من قصتها ذكر هذين البطلين .

وتشير بعض المصادر أن أم عُمارة شهدت العقبة مع زوجها زيد ، أو انها شهدت أحداً معه .. ولكني أرجح أنها شهدت الموقفين مع زوجها غَزِيَّة بن عمرو ، لأمور :

الأول ــ ان ابن هشام لم يورد اسم زيد ضمن من شهد العقبة ، بينما أورد عن ابن اسحق اسم عمرو بن غزية وصوّبه بأنه غَزِيَة بن عمرو ، وهو الزوج الذي خلف زيد ابن عاصم .

الثاني ــ ما جاء في « سيرة ابن هشام » ، وفي « الاصابة » في مادة « أم عُمارة » من أن أم عمارة روت ، عن مشاهدتها ليلة العقبة فقالت : إن الرجال كانت تصفق على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعباس آخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بقيت أنا وأم منيع ، نادى زوجي غَزِيَة بن عمرو : يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتا معنا يبايعانك ، فقال : قد بايعتهما على

ما بايعتكم عليه ، اني لا أصافح النساء . » وبهذا تكون أم عمارة نفسها صرحت ان زوجها يومذاك كان غزية ابن عمرو .

الثالث : ان ابن سعد قال في الطبقات : قال محمد ابن عمر : شهدت أم عمارة بنت كعب أحداً مع زوجها غزية

الرابع : في الطبقات أيضاً ، ما روي عن عبد الله بن زيد ابن أم عمارة من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له في الحديث الذي سبق ايراده بتمامه في قصة بطولة أم عمارة (ومقام ربيبك خير من مقام فلان وفلان) وفسّر ابن سعد كلمة ربيبك بأنه زوج أمه، وهو فيما أرجح غزية.

واذا انتفى أن يكون زيد بن عاصم قد اشترك في العقبة الكبرى ، ويوم بدر ، فاننا نتساءل هل فارق زيد ابن عاصم أم عمارة فتزوجها بعده غزية ؟ أو انه مات عنها ؟

ان الأستاذ الزركلي في الاعلام يقول :

« تزوجها في الجاهلية زيد بن عاصم المازني ، ومات عنها ، فتزوجها غزية بن عمرو المازني ، ولما ظهر الاسلام أسلمت .. الخ » .

وترتيب هذا النص يدل على أن زيد بن عاصم توفي قبل أن تسلم أم عمارة ..

ويقوي هذا ما سبق في رواية عبد الله بن زيد ، من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخاطبه ، « ومقام ربيبك » ، وان ابن سعد فسر ربيبه بمعنى زوج أمه •• وفي هذه الكلمة أيضاً معنى أنه كان حينئذ يربيه ، وهذا يدل على احتضانه ، وعلى احتمال أن عبد الله نشأ يتيماً عدا عن أنه يقوي أيضاً أن عبد الله كان يوم أحد رغم بلوغه سن الرشد لا يزال فتى صغير السن ••

وكل هذا يجعل صحبة زيد بن عاصم محل نظر ، الا أن يكون قد أسلم في الفترة مابين انتقال الاسلام الى المدينة في دور الأنصار ، وما بين بيعة العقبة الكبرى ، التي حضرها غزية بن عمرو زوجاً لأم عمارة •

أما ما روي من أنه شهد بدراً ، فان ابن سعد لم يورد اسمه فيمن شهد بدرا من الأنصار ، بل لم يورده أيضاً فيمن أسلم ولم يشهدها ••

أما ما قيل من أنه شهد أحداً ، فان النص على ذلك يقترن بأم عمارة ، فيقال انها شهدت أحدا مع زوجها زيد ابن عاصم ، وابنها عبد الله وحبيب ابني زيد •• فاذا كان الراجح أن زوجها يومذاك لم يكن زيد بن عاصم ، فقد ضعف هذا النص ، وهذا ما أخذ به المقريزي في « أمتاع

الأسماع » إذ قال في ترجمتها انها كانت يوم أحد بين يدي رسول الله هي وابناها عبد الله وحبيب ابنا زيد بن عاصم وزوجها غَزِية بن عمرو يذبون عنه .

أما زوجها بعد زيد فقد كان غَزِية بن عمرو

وهو غَزِية بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبذول ابن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار الأنصاري الخزرجي .

فهو كما يتضح من هـذا النسب من بني عمومة أم عمارة أيضاً ، يجتمع نسبهما في جدهما مبذول بن عمرو .

وغَزِية بفتح الغين وكسر الزاي المخففة كغنية ، بذلك ضبطه « تاج العروس في شرح القاموس » .. وقد أورد ابن اسحق اسم غزية بن عمرو في السيرة مغلوطاً عندما سرد أسماء المبايعين في العقبة الكبرى .. فجعله عمرو بن غزية ، فاستدرك عليه ابن هشام وصححه ، وهو في بعض طبعات الاصابة مصحف كأن يرد بالعين أو بالراء .. وهو في « الاعلام » للزركلي في ترجمة أم عمارة « غزية بن عمر » بدون واو عمرو ، وهو في الغالب تطبيع .

وكما مر ، فان غزية كان ممن شهد العقبة الكبرى ، وتولى تقديم زوجته أم عمارة الى رسول الله ، فبايعته دونما مصافحة ، كما روت هي رضي الله عنها ذلك .

وقد شهد غَزِية أحداً ..

ويذكر ابن سعد في ترجمة « أم عمارة » ، أنها تزوجت ثلاثة ، فذكر غزية ، وزيد بن عاصم ، ثم قال « والثالث نسيبة ومات ولده ولم يعقب » .

وفي هذه العبارة غموض فان نسيبة هو اسم أم عمارة نفسها ، فهل هناك نقص أو تحريف ؟ وهل تكون العبارة في الأصل هكذا : « والثالث أبو عمارة بن نسيبة ومات عنها ولم يعقب » . ربما .. فلا يسعنا الجزم .

« اولادها »

أما أولادها فهم : عبد الله ، وحبيب ، وهذان من زوجها « زيد بن عاصم » .

وتميم وخولة ، وهما من غَزِية بن عمرو

أما عبد الله : فقد سبق ذكر جهاده يوم أحد .

وقد قيل انه شهد بدراً[1] .

واشتهر بأنه راوي حديث صفة الوضوء ، يروي عنه ابن أخيه عباد بن تميم ، ويحيى بن عمارة وآخرون ، وأورد له البخاري أحاديث منها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في الأنصار عقب عودته صلى الله عليه وسلم من حنين[2]

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : الصحيح أنه لم يشهد بدراً .

(٢) صحيح البخاري : « باب غزوة الطائف » .

وهو غير عبد الله بن زيد بن عبد ربه صاحب الأذان .

وقد روى له الامام أحمد في مسنده طائفة من الأحاديث منها حديث الوضوء ، والاستسقاء ، والروضة ، وتحريم المدينة .

قتل يوم الحرة سنة ٦٣ هـ[١] .

أما حبيب ، ابنها الآخر من زيد بن عاصم ، فقد مر في قصة بطولة أم عمارة ، حديث بسالته وموقفه من مسيلمة الكذاب ، كما مر أنه حضر يوم أحد .

وحبيب : بفتح الحاء المهملة[٢] ، وليس بالخاء كما ورد تصحيفاً في بعض طبعات سيرة ابن هشام ، وقد تابعه على ذلك بعض مؤلفي السيرة[٣] .

شهد حبيب رضي الله عنه العقبة الكبرى ، ومات شهيداً في اليمامة على يدي مسيلمة[٤] .

قال ابن حجر ، شهد أحداً والخندق والمشاهد[٥] .

وتَميم بن غَزِية ، أحد ولديها من زوجها غزية .

وهو تميم، بفتح التاء، كما ضبطه شارح القاموس[٦] .

---

(١) الاصابة في ترجمته .

(٢) تاج العروس ، وقد أحصى كل من حمل اسم حبيب من الصحابة .

(٣) « حياة سيد العرب » لحسين باسلامة على سبيل المثال .

(٤) أسد الغابة في ترجمته . (٥) الاصابة في ترجمته .

(٦) « تاج العروس » مادة تـم ، وقد أحصى أسماء ثمانية عشر صحابياً حملوا هذا الاسم .

وقد ترجم له ابن الأثير الجزري في « أسد الغابة » ولكنه جعله ابناً لزيد بن عاصم ، أي شقيقاً لعبد الله وحبيب لا ابناً لغَزِيّة بن عمرو ، بيد أنه أورد رواية أخرى قال فيها انه تميم بن عبد بن عمرو . وكلمة عبد لعلها جاءت تصحيفاً لغزية فيكون بذلك قد أورد الرواية التي أرجحها[1] .

أما صاحب «الاصابة» ، فقال أيضاً انه تميم بن زيد الأنصاري والد عَبَّاد وأخو عبدالله بن زيد بن عاصم المازني في قول الأكثر ، ولكنه عاد فقال ، وقيل هو أخوه لأمه ، وأما أبوه فهو غزية بن عبد عمرو ، وانه بذلك جزم الدمياطي تبعاً لابن سعد[2] .

ومهما يكن الأمر فان تميماً له صحبة ، كما جاء في بعض الروايات وهو ابن أم عمارة .

على أن هناك نصوصاً تذكر بوضوح ان تميماً انما هو ابن غَزِيّة بن عمرو فقد ذكر ذلك صاحب الاصابة نفسه في ترجمته لأم عمارة « كتاب النساء ــ باب الكنى » انها ولدت لغزية بن عمرو تميماً وخولة .. وهذا ما قاله ابن سعد في الطبقات في ترجمة أم عمارة ، جازماً به ، وهو الصحيح .

---

(١) أسد الغابة . ترجمة « تميم بن زيد » .

(٢) الاصابة ترجمة « تميم بن زيد » .

وتميم أنجب عَبَّاداً ، وقد روى ابنه عنه الحديث ، كما رواه عن عمه عبد الله بن زيد كما مرّ .

وعباد معدود في التابعين ، بل نقل عنه انه قال « أنا يوم الخندق ابن خمس سنين فأذكر أشياء وأعيها ، وهذا يقتضي أنه صحابي[1] .

أما رابعة أولاد أم عمارة فهي خولة .. وأبوها هو غَزِية بن عمرو .

هؤلاء هم أولادها كما جاء في ترجمتها في المصادر التي توفرت لدي .. ولكن مما يدعو الى التساؤل ، هذه الكنية « أم عمارة » من أين أتت وما مصدرها ؟ فان تلك المصادر لم تحدثنا عن عُمارة هذا ، بينما نجد ابن سعد يحدثنا عن محمد بن عمرو ، عن عبد الجبار بن عمارة ، عن عُمارة بن غَزِية قال : قالت أم عمارة .. ثم يروي حديثها عن موقفها يوم أحد ، كما سلف أن أوردته في القسم الأول من هذه الرسالة ، فهل يكون عُمارة هذا هو ابنها الذي تكنى به من زوجها غَزِية بن عمرو .

من العجيب ان المصادر القديمة التي بين يدي لا تذكر ذلك صراحة ، ولا تشير الى عُمارة من قريب أو بعيد ،

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات للنووي ، مادة عباد .

والمصدر الوحيد ، فيما وقفت عليه ، الـذي يصرح باسم عمارة هو « تحفة ذوي الأرب في مشكل الأسماء والنسب » لابن خطيب الدهشة ، المتوفي سـنة ٨٤٤ هـ اذ يقول في ترجمتها : « ••• روى عنها ابنهـا عُمارة ، والحارث بن عبـد الله بن كعب ، وعبد الرحمن بن عبـد الله بن أبي صعصعة ، وعكرمة مولى ابن عباس ••[١] » •

وقد توفر لدينا الآن نصّان : نص ابن سعد أو النص المحتمل عنه ، من أن لها زوجاً ثالثاً هو أبو عمارة ، وانه مات عنها ، ولم يعقب » فقد أفادنا هذا انه هو أبو عمارة ، وأنه أيضا لم يعقب ، أي ان عمارة ابنه قد توفي • وهذا أقرب الى المعقول ، لعدم ورود ذكر « عمارة » في المناسبات التي ذكر فيها أبناء أم عمارة كموقف أحد •

أما النص الآخر فهو مايفيده ابن خطيب الدهشة من أنه روى عنها ابنها عمارة •• فيكون هناك ابن آخر يحمل نفس الاسم ، عاش فروى عنها ، أما أبوه فهو غزية ، ولعله ولد في عهد متأخر وقد أحيت فيه أم عمارة اسـم ولدها الأول •

---

(١) ص ١٢١ ط ليـدن ١٩٠٥م ، وابن خطيب الدهشة هو محمود بن أحمد ابن محمد •

وسواء أكان أبو عمارة ، هو زوجها المجهول لدينا اسمه ، أو هو زيد بن عاصم ، أو هو غزية ، فان ذلك كله يدلنا على أن أم عمارة كان لها ابن يحمل هذا الاسم فعلاً .

وبينما تسكت معظم المصادر عن « عمارة » فلا تحدثنا عنه حديثاً مفصلاً واضحاً .. نجدها تحدثنا أن غزية بن عمرو ، زوج أم عمارة كان له ابن يدعى ضمرة بن غزية ، وانه شهد أحداً مع أبيه ، وقتل يوم جسر أبي عبيدة شهيداً في قتال الفرس في خلافة عمر ، وانه ابن أخي منقذ بن عمر والد حبان بن منقذ[1] .

ولكن ترجمة ضمرة لا تدلنا على أمه .. ومن المستبعد أن تكون أم عمارة ، اذا كان قد شهد أحداً ، فهو اذاً في سن أبنائها على الأقل أو أكبر قليلا ، فهو ابن غزية في أكبر الظن من امرأة أخرى[2] .

---

(١) أسد الغابة ترجمة ضمرة ، وقد ترجم لحبان بن منقذ فقال انه صحابي شهد أحداً .

(٢) وهناك أبناء آخرون لغزية وهم فيما يبدو من امرأة أخرى أو ربما من أكثر من زوجة .

سيرتها وصلاحها

وبعـد ، فان شخصية أم عمـارة ، شخصية ممتازة جمعت أطرافاً من الميزات والفضائل ، قلما تجتمع لامرأة .

مرّ بنا في قصتها انها ذات وجدان حي ، وان وجدانها هـذا كان يحثها على أن تشهد المعـارك ، لتسقي عطشى المجاهدين وتضمد جرحاهم ، فهي ممرضة متطوعة ، تدرك مهمتها سلفاً فتستعد لها بلفافاتها فتسعف الجرحى ، وتخفف من ويلاتهم ، وهي في ذلك تأتي في مقدمة رائدات التمريض في التاريخ الاسـلامي ، واذا اقتضى الأمر تحـولت الى محاربة مجاهدة .

وهي تملك روحاً متفانية ، وإيماناً عظيماً ، يدفعها لأن تقف في المعركة الى جوار الرسول تدافع عنه .

وهي ذات روح متطلعة الى الحقيقة ، تبعثها في الليل البهيم لتنطلق مع زوجها لتلبي دعوة الدين الصحيح .

وهي ذات تصميم يحثها على أن تنتقم من مسيلمة .

وهي ذات حس اجتماعي مرهف ، تفـكر في بنات جنسها ، وتعنى بأمورهن ، وتسعى الى تحسين أوضاعهن .

هاهي تفكر فيما ينزل من القرآن الكريم ، فتراه يوجه القول الى الرجال ، فتتساءل : وما بال النساء ؟

وتجد الشجاعة الكافية ــ وما خذلتها شجاعتها قط ــ فتذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم لتفضي إليه بهذا الأمر الذي يقلقها .. أو يقلق حسها الاجتماعي المرهف ، مدفوعة بحبها لبنات جنسها ، ورغبتها في الخير لهن ، ولئلا يذهب الرجال وحدهم بالخير ، كل الخير .

وتقول أم عمارة للرسول صلى الله عليه وسلم :

ــ ما أرى كل شيء إلا للرجال ، وما أرى النساء يذكرن في شيء ؟!

فتنزل الآية الكريمة (٣٥ من سورة الأحزاب) :

« إنَّ المسلمينَ والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصَّادقين والصادقاتِ والصَّابرين والصَّابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدِّقين والمتصدقات والصَّائمين والصَّائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذَّاكرين الله كثيراً والذَّاكرات أعدَّ اللهُ لهم مغفرةً وأجراً عظيماً » .

وهكذا اطمأنت أم عمارة بتقرير مبدأ المساواة في الأجر

والمثوبة بين الرجل والمرأة ، من فوق سبع سموات .

وهكذا أضافت مجداً جديداً الى أمجادها[1] ..

وتتمتع « أم عمارة » بذاكرة جيدة ، جعلتها الى مكانتها الاجتماعية المرموقة ، تروي عدداً من الأحاديث ، فقد روى عنها ابن ابنها عبَّاد بن تميم بن غَزِية ، والحارث ابن عبد الله بن كعب ، وعكرمة مولى ابن عباس ، ومولاتها ليلى ، وأم سعد بنت سعد بن الربيع ، ولها أحاديث في الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة .

ومما روت ، ما ورد عن حبيب بن زيد ، عن مولاة لهم يقال لها ليلى عن جدته أم عمارة ، ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها ، فقدمت إليه طعاماً، فقال : كلي . فقالت : اني صائمة . فقال : «ان الصائم اذا أُكل عنده صلت عليه الملائكة »[2] .

وأخرج أبو داود لها : ان النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) تروى هذه الحادثة أحياناً في بعض المصادر عن نسيبة أم عطية لا عن نسيبة أم عُمارة .

(٢) الاصابة : ترجمة أم عمارة ، وفي ابن سعد نحوه . ويدل السياق هنا عن حبيب بن زيد أنه حفيدها وليس ابنها المعروف بهذا الاسم .

توضأ فأتى باناء فيه قدر ثلثي المد .. الحديث[1] .

وآخرج ابن منده : انها قالت : أنا أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينحر بدنة قياماً بالحربة ..

وقد وصفها صاحب « حلية الأولياء » في مقدمة ترجمته لها ، فقال : « كانت ذات جد واجتهاد وصوم ، ونسك ، واعتماد » .

وفاتها :

لا يعرف بالضبط تاريخ وفاتها ، وقد اختار صاحب « الاعلام » سنة ١٣ هـ (٦٣٤م) ، وتدل ترجمة حياتها انها عاشت الى عهد عمر بن الخطاب ، ويدل على ذلك ما رواه السهيلي في « الروض الأنف » من انها عاشت بعد اليمامة دهراً ، كما يدل عليه ، ما روى ابن سعد في ترجمتها

---

(١) الاصابة ترجمة أم عمارة ، وقد أورد مسند الامام أحمد عددا من أحاديثها في موضعين .

من أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أُتي بمروط فكان فيها مِرْط[1] واسع جيد ثمين ، فاقترح بعض الجلوس أن يعطيه لصفية بنت أبي عبيد ، عروس ابنه عبد الله بن عمر ، ولكن عمر قال : أبعث به الى من هو أحق به منها أم عمارة نَسيبة بنت كعب ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم أحد : ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني ! »[2] .

فدل هذا على أنها عاشت الى عهد عمر رضي الله عنه .

وتدل قصة المروط أيضاً على أن أم عمارة ، عاشت الى ما بعد سنة ١٣ من الهجرة ، ذلك لأن عرس عبد الله ابن عمر بصفية بنت أبي عبيد انما كان سنة ١٦ من الهجرة[3] .

---

(١) المرط : بكسر الميم وسكون الراء : كل ثوب غير مخيط أو كساء من الصوف ونحوه يؤتزر به .

(٢) الطبقات ـ ترجمة أم عمارة . وتروي أيضا القصة لصالح أم سليط بدلا من أم عُمارة .

(٣) البداية والنهاية ص ٧٣ ج ٧ .

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم — محمد فؤاد عبدالباقي
٣ ـ تفسير الكشاف — الزمخشري
٤ ـ تفسير فتح القدير — للشوكاني
٥ ـ المفردات — للراغب الاصفهاني
٦ ـ صحيح البخاري
٧ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري
٨ ـ الاصابة في تمييز الصحابة
٩ ـ تهذيب التهذيب — لابن حجر
١٠ـ السيرة النبوية — لابن هشام
١١ـ الروض الأنف — للسهيلي
١٢ـ حياة سيد العرب — حسين عبدالله باسلامة
١٣ـ شرح المواهب اللدنية — للزرقاني
١٤ـ الاعلام — للزركلي
١٥ـ فتوح البلدان — للبلاذري
١٦ـ البداية والنهاية — لابن كثير

١٧ـ أعلام النساء } عمر رضا كحالة
١٨ـ معجم قبائل العرب } عمر رضا كحالة
١٩ـ تحفة ذوي الارب في معرفة الأسماء والنسب طبع ليدن ١٩٠٥م } لابن خطيب الدهشة
٢٠ـ امتاع الأسماع للمقريزي
٢١ـ سير أعلام النبلاء للذهبي
٢٢ـ الاستيعاب لابن عبد البر
٢٣ـ مسند الامام أحمد
٢٤ـ المرأة العربية لعبد الله عفيفي
٢٥ـ تهذيب الأسماء واللغات النووي
٢٦ـ حلية الأولياء للاصفهاني
٢٧ ـ المغازي للواقدي
٢٨ـ مجلة الهلال ـ العدد الخامس من السنة ٧٧، يونيه ١٩٦٩ م ربيع الأول ١٣٨٩ هـ .

الفهرست

صفحة

أُم عُمارَة

كانت شخصية أم عُمارة بكل اثارتها، وحركتها وعظمتها تهيب بي أن أجعل للمرأة نصيباً في «المكتبة الصغيرة»، وأن أبدأ بها كمثل نبيل للجهاد، في وقت نحن أحوج ما نكون فيه لضرب الأمثلة على الجهاد .. الجهاد الذي يشترك فيه الرجال والنساء، لندافع جميعاً عن مقدساتنا، ولنسترجع الحقوق التي استبيحت، ولن نفعل ذلك مالم نصدر ـ رجالاً ونساءً ـ في جهادنا عن إيمان عميق مثل ذلك الإيمان الذي تجلى في موقعة أُحد، إيمان بأن موقف المسلمين هو الأعلى، مهما كانت الظروف لأن الأيام مداولة، ويجب أن نملك الصمود والكفاح والنضال ليكون لنا النصر الأخير.

* * *

منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص.ب ١٥٩٠ الرياض ١١٤٤١ ت ٤٧٧٧٢٦٩